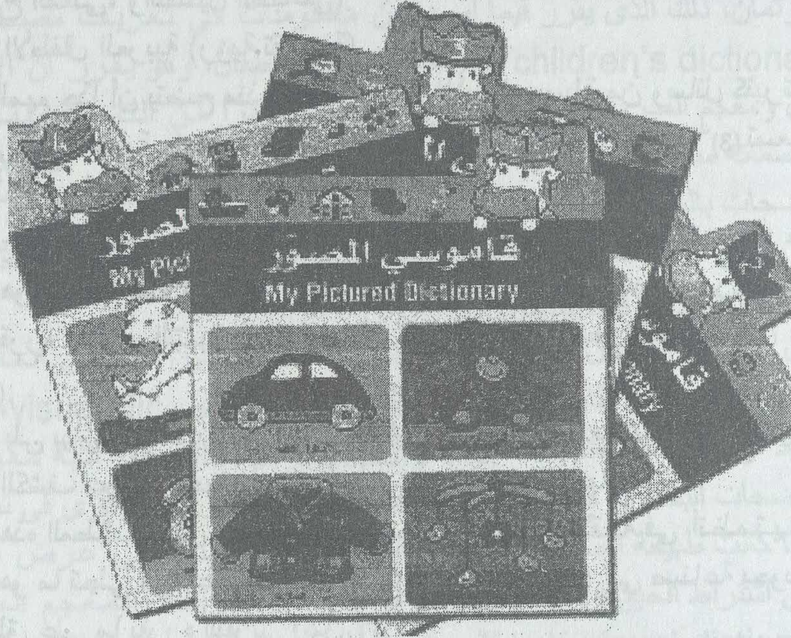
معاجم الأطفال العربية المعاصرة وظائفها وخصائصها

معاجم الأطفال العربية المعاصرة وظائفها وخصائصها

أ.د. خالد فهمى



مدخل

يعد مفهوم التنمية اللغوية الإطار العام الذى تنضوى تحته المعالجات اللسانية المتعلقة بدراسات معاجم الطفزلة، ولاسيما أن إحدى الغايات الأساسية لهذا الفرع المهم من أنواع المعاجم التى عرفها التصنيف المعجمى المعاصر تتمثل فى تحسين لغة الطفل تحصيلاً وارتقاء وتنمية وتصحيحًا.

وهذا الذى نقرره فى هذا المدخل يصرح به اللغوى الإنجليزى المعاصر دافيد كريستال فى معجمه فيما أورد من تعليق تحت المدخل developmental linguistics حيث يعرفه قائلاً: إنه "فرع من اللسانيات مشغول بدراسة اكتساب اللغة عند الأطفال" (1).

صحيح أن الترجمة المعتبرة لهذا المصطلح هى : علم اللغة النمائى أو علم اكتساب اللغة(2)، لكن ذلك لا ينفى الرابطة القوية بين مفهوم التنمية اللغوية وبين دراسات معجم الطفولة، إن لم تكن هى الرابطة الأولى المعتبرة بحكم الغايات أو الوظائف المتصورة من هذا الحقل المعرفى.

ولا ينفى ارتباط ذلك المصطلح من مصطلحية علم اللغة النفسى بعلم اللغة والمعجمية أنه أمس رحمًا بدراسات علم النفس؛ ذلك أن عناية المعجمية المعاصرة بمعاجم الأطفال أمر ظاهر فيما تحوطه وتقدمه لها من أمارات الرعاية بتقنيات خاصة بارتفاع نسب استعمال الموضحات وهو أمر نابع من خصائص الإدراك فى هذه المرحلة العمرية.

ويسعى هذا المقال إلى معالجة المطالب التالية :

1- معجم الأطفال (مفهومه، وظهوره).
2- معاجم الأطفال العربية المعاصرة (أنواعها، وأهدافها).
3- معاجم الأطفال العربية المعاصرة (مقال فى التصنيف).
4- الخصائص المادية لمعاجم الأطفال العربية المعاصرة وعلاقتها بخصائص المرحلة العمرية (طرق شرح المعنى، والتشكيل الطباعى).
5- معاجم الأطفال العربية (رؤية تقويمية).

ومن المهم جدًا أن يتضح منذ البدء أن معجم الأطفال وسيلة من وسائل كثيرة لتحقيق التنمية اللغوية التى هى "عملية واعية هادفة إلى إحداث تغيرات محددوة منشودة"(3) تسعى إلى تنمية لغة الفرد / الطفل فى أثناء اكتسابه اللغة.

وتتضح هذه الأهمية لمعجم الأطفال من باب آخر له حضوره المركزى فى مجال التنمية اللغوية، وهو التعليم، ذلك أن النظر إلى المعجم بما هو وسيلة تعليمية يعكس أهميته الكبرى فى ضوء ما يقرره منظرو التنمية اللغوية من أن الحقيقة تقول : "يعد التعليم المجال الأول للتنمية اللغوية"(4).

وفيما يلى بيان للمطالب الخمسة التى تحاول الكشف عن معاجم الأطفال العربية المعاصرة من خلال الكشف عن مناهجها وأنواعها وأغراضها وخصائصها.

وكل هذه المطالب تنبثق من تعانق مبدأ مهم جدًا متعلق بالثقافة فى أنظمتها المتعددة مع التنمية، وهو ما تجلى فى دعوة تقرير (التنوع البشرى الخلاق) إلى صناعة بحوث علمية خادمة لهذا المنطلق على ما يقرره التقرير (ص 191).

وهو ما يعود ويقرره الدكتور على القاسمى بعد عقد كامل محددًا فى إطار بيان يلزم لتطوير لغة الطفل وتنميتها محورين مهمين جدًا : هما :

1- دراسات فى صناعة المعجم العربى للأطفال.
2- تصنيف معاجم متنوعة للأطفال.

وهو الأمر الذى صرح به فى دراسته (المجامع العربية ولغة الطفل العربى) (ص 615).

معجم الأطفال (مفهومه، وظهوره)

(1/أ)

كان من علامات اعتداد المعجمية المعاصرة بهذا الفرع المهم منها مع تقدير كونه فى البدايات الأولي - تخصيص مدخل أو أكثر للتعريف بمعجم الأطفال فى معجم مصطلحات المعجمية لهارتمان، ذلك الذى يقرر فيما أورده من معلومات فى تعريف مصطلح (معجم الأطفال) children's dictionary : أنه معجم موجه للأطفال، وهو يقرر أن الانتقال بين معجم الأطفال ومعجم المدرسة أمر سهل مرن، مما يعنى قدرًا من التشابه بينهما، محددًا مجموعة من سماته مثل عنايته تحديدًا بالكلمات الأساسية (القوائم الأكثر استعمالاً) معرفة بطريقة الموضحات بالصورة، واستعمال القصص والفكاهات أحيانًا بشكل يفوق التعريفات القولية لشرح معانى المفردات الشائعة. وفى ختام تعريفه أحال هارتمان على المدخل (المعجم المصور) = picture dictionary.

ومن تأمل عدد من المداخل المترابطة مجاليًا يلاحظ التقارب بين عدد من أنماط المعاجم ومعجم الأطفال، بحيث نرى تقاربًا بين كل من المعجم البصرى .visual dic، والأطلس، ومعجم المشاهد أو معجم الموضحات .film or illustrate dic وفق آلية معينة هى أن استعمال الموضحات البصرية فى شرح معانى المفردات أمر محورى مركزى فى تصور معجم الأطفال، أيًا ما كانت طبيعة الصورة ثابتة مرسومة أو متحركة تهدف إلى عرض المعلومات وشرح المعانى اشتراط الحيوية والإشراق على ما جاء فى تعريف (المعجم المرئى) عند هارتمان visual dictionary عندما قال : إنه نمط من المعاجم المصورة يقدم المعنى بموضحات حيوية ملونة تلوينًا تامًا(5).

ومن مجموع ما ورد من معلومات تحت هذه المداخل المختلفة المتنوعة يمكن أن نقترح تعريفًا لمصطلح (معجم الأطفال) بأنه (المعجم الذى يستهدف الأطفال لتنمية لغتهم عن طريق شرح معانى الألفاظ التى من شأنها الارتقاء بثقافتهم عن طريق استعمال الصور والموضحات فى هذا الشرح بشكل حيوى يناسب نفسية الأطفال، ويقدم فى شكل ملائم لخصائصهم الجسمية).

وهو ما يؤكده الدكتور أحمد مختار عمر، وإن قسم معاجم الأطفال إلى فرعين، هما : "معاجم الأطفال أو ما قبل المدرسة، ومعاجم الصغار أو تلاميذ المرحلة الابتدائية" وهذا التقسيم الذى أورده فى كتابه (صناعة المعجم الحديث) (ص 43) راعى فيه المرحلة السنية، وهي - ولاشك - العامل الفارق فى تحديد ملامح هذا النوع من المعاجم.

وربما يظهر من مجموع هذه المداخل المتعددة الإلحاح على تقنيات خاصة تصب فى باب مراعاة الطبيعة العقلية والنفسية التى تفرضها - ولاشك - طبيعة المراحل العمرية، تلك التى يتنقل فيما بينها الطفل، وهو ما حرصت التعريفات الكثيرة لمصطلح معجم الأطفال على الوفاء بها، إن بطريق مباشر، أو بطريق غير مباشر.

(1/ب)

ومن ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى أن تاريخ المعجم العربى قديمًا بما هو من أقدم تواريخ المعجم فى العالم. كان قد عرف بعضًا من ملامح العناية بما يمكن أن يسمى ببواكير معجم الأطفال.

صحيح أنه لا يمكن الادعاء بأن معجمًا للأطفال كان قد ظهر قديمًا بالمعنى المعاصر لهذا المصطلح، أو بمعنى قريب منه، ولكن المقصود ببواكير معجمية الطفل هنا هو ظهور العناية ببعض ملامح وجود العناية بما يقدم للأطفال، على ما يظهر مثلاً من العمل التراثى "ألف باء"، للبلوى المتوفى سنة 604 هـ، الذى يقول فى مقدمته (1/3) : "إنى عزمت على أن أجمع فى هذه الأوراق كل معنى رق أو راق... جعلت ما أؤلف فيه لعبدالرحيم ابنى... وسميت ما جمعت لهذا الطفل المربى كتاب ألف باء "وهو المعنى نفسه الذى يعود فيؤكده نظمًا فيما تلا هذا النص المنثور فى مقدمته(6).

صحيح أنه لا يزعم أحد أن هذا الكتاب مندرج تحت التصنيف المعجمى، مهما تلمسنا بعض ملامح الترتيب المستفادة من هذا الفرع، ولكن المهم فى التجربة هو هذه العناية المبكرة بالتوجه لمقام الطفولة.

وإن كانت الدكتورة عبير سلامة تقرر فى كتابها : "البناء القصصى للمعرفة الأبوية فى كتاب ألف باء للبلوى"، أن هذا الكتاب القديم محمول فى أحد تصوراته على "أنه معجم" على حد تعبيرها. وهو ما لا نستطيع مجاراتها فى التسليم به.

وربما كان بمقدورنا أن نرى فى بعض المختصرات المعجمية القديمة، ولو بوجه تأويلى - بعضًا من ملامح العناية بمعجمية الطفولة قديمًا؛ وهو ما يرشح لإعادة النظر إلى مثل مختار الصحاح، لأبى بكر الرازى المتوفى فى القرن الثانى الهجرى من هذه الزاوية المعنية، يدعمنا فى ذلك ما كان من شأن وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) فى أول القرن العشرين الميلادى من أمر اختيارها لهذا المعجم ليكون أول معجم مدرسى، وهو نوع يرتبط بمعجم الطفولة برباط وثيق كما مر فى التعريف، بعد إجراء عدد من عمليات التنقيح والحذف؛ ليكون ملائمًا لتلاميذ المدارس.

ومراجعة مقدمة تلك الطبعة المدرسية القديمة تُظهر ما يلى :

1- إعادة ترتيب مداخل المعجم على وفاق الترتيب الهجائى الألفبائى المشرقى؛ ليسهل على الطلبة تناوله.

2- حذف ما لا تقره مبادئ التربية؛ مما لا يمكن أن يطرق مسامع النشء.

وقد اجتهدنا أن ننقل هذه العبارات المؤكدة بنصها؛ لنتدلل على ما دعانا إلى أن نعد هذه العلامات بداية لما يسمى بمعجم الطفولة. معنى ذلك أن ثمة علامات حول ظهور معجم الطفولة تقرر ما يلى :

أولاً : المعرفة البدائية الساذجة، التى لم تتعد حدود الإحساس المبهم بحاجة الطفولة إلى نوع رعاية خاصة فى التراث العربى، فى ميدان التصنيف المعجمى، لكنه إحساس أشبه شىء بالعدم!.

ثانيًا : يعد العصر الحديث بدءًا من أوائل القرن العشرين تعيينًا هو الظهور الفعلى لما يسمى بمعجم الطفولة، بطريق غير مباشر، متضمنًا فى المعجم المدرسى، وربما كان ذلك بسبب التأثيرات الأجنبية المتسربة من العناية بمرحلة الطفولة فى أدبيات التربية الغربية.

ثالثًا : تعد المعاجم المدرسية (التعليمية) هى الظهور الأول الذى انضوى تحته معجم الطفولة، حتى استقل الأخير فيما بعد فى النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى.

صحيح أن الدكتور على القاسمى يعود بتاريخ ظهور معجم الطفولة إلى القرن التاسع عشر الميلادى، عندما قرر فى بحثه (المجامع العربية ولغة الطفل العربى) أنه : (ص 622) : "كان على المكتبة العربية أن تنتظر حتى النهضة العربية الحديثة خلال القرن الميلادى التاسع عشر لتزدان بأول معجم للأطفال اضطلع بتصنيفه المعلم بطرس البستانى (1819– 1883م) صاحب معجم الطلاب المبسط : قطر المحيط".

وعلى الرغم من أن المعلم بطرس البستانى لم ينص فى عنوان كتابه على رعاية مقام الطفولة - فإن تقديم هذا المعجم لا يعدو كونه مجرد تلخيص لمعجمه محيط المحيط، المخصص للكبار.

وإذا كان الأمر كذلك فإن ما سقناه من أمر إمكان اعتبار بعض المختصرات المعجمية القديمة التى هى أسبق من محاولة البستانى ولاشك بدايات وإرهاصات لمعاجم الأطفال التى ظهرت بشكل أكثر وعيًا بعد ذلك بنحو قرن من الزمان يعد صحيحًا إلى حد بعيد.

أضف إلى ذلك أن محاولة البستانى وما تلاها من المحاولات الموجهة لوظيفة واحدة هى ترقية التحصيل الدراسى - تمثل صورة واضحة للقصور فى ميدان تمثّل الطبيعة التى ينبغى أن تحكم صناعة معاجم الأطفال؛ ذلك أن معاجم الأطفال ليست معاجم مدرسية فحسب!.

ومن الحق أن نقرر أن هذا الظهور للمعاجم المدرسية كان محاطًا بعلامات سلبية؛ بمعنى أن هذا الظهور التصنيفى لم يواكبه ظهور استعمالى من جانب الأطفال أو التلاميذ بما هو موجه لهم، وهو ما عبر عنه الدكتور السعيد بدوى فى كتابه (مستويات العربية المعاصرة فى مصر : بحث فى علاقة اللغة بالحضارة) (ص 37) بقوله : "وعلى الرغم من أصالة العرب فى فن القواميس.. فإن العرب أنفسهم أو المتأخرين منهم على الخصوص لم يقدروا هذا العمل حق قدره، فانزوى القاموس وأرغم على احتلال ركن مظلم على خريطة الثقافة العربية لم تفلح الجهود فى إخراجه منه إلى اليوم؛ ففى الوقت الذى يدرس فيه التلاميذ ما لا يقل عن اثنى عشر كتابًا فى قواعد اللغة خلال فترة التعليم التى تسبق دخولهم الجامعة فإن الغالبية العظمى منهم يمضون هذه المرحلة دون أن يستخدموا قاموسًا عربيًا أو حتى يتصفحوه عن قرب".

وعلى الرغم من قدم هذا الكلام الذى صدر عن صاحبه من نحو أربعين عامًا؛ أى سنة 1973م تعيينًا، فإنه مازال صادقًا إلى اليوم وهو بعض صور الخطر التى تتبدى فى إطار التعليم والتربية فى المحيط العربى.

2 / معاجم الأطفال العربية المعاصرة : أنواعها وغاياتها. (مقال فى التصنيف)

يعد مبحث التصنيف المعجمى أحد أهم فروع البحث المعجمى بإطلاق فى العصر الحديث؛ ومن ثم فإن تأمل تصنيف معاجم الأطفال العربية المعاصرة ربما عكس بعضًا من العناية بعدد من الغايات العملية التى ظهرت أصلاً من أجل الوفاء بها.

ومن الحق أن نقرر أن التصنيفات تتعدد بحسب المعايير التى يتم تحكيمها ابتداءً؛ بمعنى أن التصنيف الذى يراعى لغة المداخل والشروح سوف ينتج لنا ما يلى :

1- معاجم أطفال (أحادية اللغة) عربى / عربى.

2- معاجم أطفال (ثنائية اللغة) عربى / فرنسى؛ فرنسى / عربى.

فإذا ما انتقلنا إلى تحكيم معيار آخر فى التصنيف، فإن الناتج التصنيفى سوف يتغير تبعًا له؛ بمعنى أن التصنيف الذى يرعى مستوى المفردات المتضمنة فى الأعمال المعجمية من حيث عمومها، واختصاصها - سوف ينتج لنا ما يلى :

1- معاجم أطفال عربية عامة.

2- معاجم أطفال عربية متخصصة.

ومثل ذلك وارد إذا ما انتقلنا لتحكيم معيار المرحلة العمرية فى التصنيف، غير أن ما توصلت إليه الورقة من معاجم الأطفال العربية المعاصرة لم يسعفها لإنتاج تصنيف على هدى من هذا المعيار.

(2 / 1)

وفيما يلى تصنيف لما توصلت إليه الورقة من معاجم الأطفال العربية المعاصرة وفقا للمعيارين المذكورين سابقًا.

استطاعت الورقة بعد جهد أن ترصد عددًا من معاجم الأطفال العربية المعاصرة، وظهر من خلال هذا الرصد إمكان تطبيق التصنيفين المعتمدين؛ معيار لغة المداخل وشروحها أولاً، ثم معيار طبيعة مستوى لغة المداخل ثانيًا.

(2 / 1 / أ)

عرف التصنيف فى مجال معاجم الأطفال نوعين من المعاجم بحسب النظر إلى لغة المداخل والشروح وفقًا للعينة المختارة هنا، وهما :

أولاً : معاجم أطفال أحادية اللغة (عربى / عربى)

وهى بحسب صدورها كما يلى(8) :

1- قاموسى : قاموس مصور للأطفال، لمحمود عباس، ويعقوب إيال / مركز التكنولوجيا التربوية، جينيف، سويسرا، 1982م.

2- المعجم الميسر للأطفال: ليوسف الشريف / المركز العالمى لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، 2000م.

3- المعجم المصور للصغار: لناصيف عبدالعزيز/ دار عالم الكتب، الرياض، 1425هـ = 2004م.

ثانيًا: معجم أطفال ثنائى اللغة (عربى / فرنسى ؛ فرنسى / عربى)

وقد وقعت الورقة على معجم واحد، وهو كما يلى:

الصديق الصغير المصور للأطفال والناشئة: للدكتور أحمد زكى بدوى، وصديقه يوسف محمود / دار الكتاب المصرى واللبنانى، القاهرة وبيروت، سنة 1414هـ = 1993م.

(2 / 1 / ب)

ومن جهة أخرى فإن تحكيم معيار مستوى الاستعمال، أو طبيعة انتماء المداخل إلى اللغة العامة أو اللغة المختصة سوف ينتج لنا نوعين من معاجم الأطفال العربية المعاصرة كذلك:

أولاً: معاجم أطفال عربية عامة

وهى المعاجم الأربعة معاجم المذكورة فى الفقرة السابقة، إذ هذه الأربعة جميعًا اعتنت بالتعريف بعدد من مفردات اللغة العامة الموزعة على مجالات الحياة المختلفة مما يحيط بالطفل العربى، سواء فى ذلك المعاجم الأحادية اللغة أو المعجم الثنائى اللغة.

ثانيًا: معاجم أطفال عربية مختصة

وقد وقع للورقة معجم اعتنى بجمع عدد من المفردات المنتمية إلى مجال معرفى معين، وشرحها من منظور هذا الميدان، وهو:

قاموس الفنون (صور وكلمات): لأمل الزين / مركز الأبحاث اللغوية والتربية، القاهرة، سنة 1406هـ = 1986م(9).

ملاحظات

وتعطينا التصنيفات السابقة عددًا من الملاحظات اللازمة على طريق تقويم المنجز العربى المعاصر فى مجال خدمة معجم الطفولة العربى، وفيما يلى عدد هذه العلامات الدالة:

أولاً: ظهر من هذه القائمة السابقة تأخر ظهور معاجم الأطفال العربية كما قررنا فى مطلب سابق إلى وقت متأخر من القرن العشرين الميلادى.

ثانيًا: أظهرت القائمة السابقة أن العناية بمعاجم الأطفال تركزت ابتداءً فى ميدان معرفى بعينه، هو ميدان علم التربية، وهو أمر يبدو منطقيًا ومقبولاً؛ بحكم رعاية علم التربية للطفولة، لاسيما فيما يتعلق بقضية تنميتها لغويًا، وهو الأمر الذى نلمس علاماته عند عدد كبير من علماء التربية المعاصرين فى باب دراسة التربية اللغوية لدى الأطفال على ما نرى أمثلة لذلك عند الدكتور

على عبدالواحد وافى فى كتابه "عوامل التربية"، وعند سرجيوسبينى فى كتابه "تثقيف الطفل" وغيرهم.

ثالثًا : كشفت القائمة السابقة عن غياب إسهام المجامع اللغوية العربية فى مجال خدمة معجمية الطفولة، وهو ما يؤكده الدكتور على القاسمى بقوله : "إن المجامع العربية لم تصنف معاجم للأطفال: معاجم مصورة، ومعاجم لأطفال المدارس الابتدائية، ومعاجم للأطفال مختصة فى العلوم والفنون، إلخ..."(10).

رابعًا : ظهور وعى عام بحاجة الطفل العربى إلى معاجم لغوية عامة، ومعاجم مختصة فى الفنون والعلوم، وهو ما ترجم واقعيًا، وإن بعدد نادر من معاجم الأطفال الموزعة على المجالين، وهو أمر يبشر بخير إن استمر السير فى هذا الطريق.

خامسًا : الامتداد المكانى؛ بمعنى أن الوعى بالحاجة إلى معاجم للأطفال امتد ليغطى المساحة الجغرافية للوطن العربى شرقًا وغربًا.

سادسًا : أظهرت القائمة بما فيها من تواريخ صدور هذه الأعمال المعجمية - تأخر العناية بمعاجم الأطفال العربية إلى قرب نهاية القرن العشرين الميلادى.

2/2 وظائف معاجم الأطفال العربية المعاصرة

من المعايير المستقرة التى تتحكم فى صناعة المعجم بوجه عام معيار الوظيفة، أو الغاية، أو الهدف، وهو واحد من المعايير المركزية التى تتحكم فى المعجم المنتج على ما يقرر دارسو صناعة المعجم الحديث(11)، وهى مرتبطة ارتباطًا وثيقًا جدًا بطبيعة المستعمل وحاجاته الذى هو الطفل العربى فى حالتنا.

وفيما يلى قراءة فى مدى وعى صانعى المعاجم التى أوردتها هذه الورقة لتقييمها، وبيان مدى حاجتها إلى التطوير والترقية من عدمه :

أولاً : وظيفة الوعى بالحياة

ظهر من تأمل معاجم الأطفال - مادة هذه الورقة - إرادة تكوين وعى بالحياة لدى الأطفال مستعملى هذه المعاجم، وهذه الوظيفة مرصودة على المستوى التنظيرى ابتداء، يقول الدكتور كلود حجاج : "ويتيح الكلام بوصفه وسيطًا للطفل التحكم فى الأشياء عن طريق تمثلها"(12)، وهو ما يعنى أن المعجم بالنسبة إلى الطفل آلة للوعى بالحياة من حوله، وهى الخطوة الكامنة فيما سماه كلود حجاج تمثل الأشياء، وهذا التمثل يقود إلى التحكم والسيطرة على الأشياء.

وتتجلى هذه الوظيفة فى صورة صريحة عندما يقرر كلود حجاج مرة أخرى قائلاً : "ففى الوقت الذى يكتسب فيه الأطفال البنى الأساسية للسان، فإنهم يكتسبون معها فى الوقت نفسه الوعى بتغير المستويات"(13)، وهو ما يعنى تنامى الإدراك لدى الأطفال مع اكتسابهم الكلمات وهو ما سماه حجاج بالبنى الأساسية للسان، ولاشك أن الوعى بتغير المستويات يحمل فى طياته وعيًا بالحياة، وإدراكًا لها بشكل ما.

وهذا الوعى المرصود نظريًا يفرض متابعة العمل فى ميدان صناعة معاجم الطفولة من جانب، ويفرض الاستمرار فى تطوير ما هو قائم منها من حين لآخر من جانب آخر.

وقد ظهر الوعى بقيمة هذه الوظيفة والتوجه نحو خدماتها، وإرادة تحقيقها فى مقدمات عدد من معاجم الأطفال - مادة الورقة - يقول محمود عباس ويعقوب إيال فى مقدمة معجمهما (قاموسى : قاموس مصور للأطفال) فى المقدمة (ص 5) فى سياق الحديث عن أهدافه وغاياته إن من أهدافه : "إغناء الطفل وتوسيع آفاقه ومداركه"، وهى عبارة واضحة تمامًا تؤكد حضور هذه الوظيفة فى وعى بعض صناع معجم الأطفال المعاصرين.

ومن جهة أخرى فقد تنوعت طريقة التعبير عن هذه الوظيفة فى مقدمات بقية معاجم الأطفال التى سبق ذكرها، وتفاوتت وضوحًا وخفاء، فعلى حين نرى وضوحًا تامًا فى العبارة السابقة فإننا نلمح إشارة إلى وظيفة الوعى بالحياة وتمثل الأشياء فى عبارة يوسف الشريف فى مقدمة معجمه (المعجم الميسر للأطفال) (ص 8) حيث يقول عن معجمه إنه "يزودك (أى الطفل) بمعلومات حول الأشياء والموضوعات"، وهذا الذى سماه بتزويد الطفل بالمعلومات حول الأشياء خطوة على طريق تكوين وعى وإدراك لدى الأطفال مستعملى معجمه.

وهو بعض ما يمكن تلمسه فى عبارة ناصف مصطفى عبدالعزيز فى معجمه (المعجم المصور للصغار) (ص 3) التى يقرر فيها أن معجمه حرص على جمع الكلمات فى "موضوعات تدور فى اهتمام الصغار ولعبهم".

وهذا الذى عبرت عنه مقدمات معاجم الأطفال العربية المعاصرة يتسق مع ما تقدمه اللسانيات المعاصرة فى باب الحديث عن وظائف اللغة، ولاسيما فيما يسميه هاليداى بالوظيفة الاستكشافية heuristic function، وهى استعمال اللغة وسيلة لاستكشاف الحقائق والأشياء وهى مجرد وظيفة واحدة من وظائف استعمال الطفل للغة، وهى التى سماها بالوظائف النمائية developmental function (14).

وربما ظهر من هذه النقول تأخرُ، ما فى إدراك هذه الوظيفة التى ينبغى ظهورها فى الأعمال المعجمية المصنوعة للأطفال، لكنه تأخُر، على مستوى التعبير عن الوظيفة فقط، بمعنى أن الشعور بالوظيفة موجود، لكن التعبير عنه صراحة كان متفاوتًا من مقدمة لأخرى.

ثانيًا : الوظيفة اللسانية

ربما تبادر إلى الذهن الإقرار بأن وظيفة المعجم؛ أى معجم ولو كان معجمًا للأطفال بطبيعة الحال - تكمن فى تقديم معلومات لغوية متنوعة حول المداخل، أو الكلمات المجموعة فيه، وهو صحيح تمامًا وهو الأمر الذى جاء صريحًا فى كل مقدمات معاجم الأطفال، مادة الدراسة، وبعبارات واضحة لا تحتمل تأويلاً، وهو أمر منطقى يفرضه ما استقر وتواتر من أن المعجم فى التصور العام كتاب لغوى ينبغى أن ينهض بوظيفة لغوية؛ وهو ما يظهر فى قول مقدمة (قاموسى : قاموس مصور للأطفال) (ص 5) عن أهدافه أنه يسعى إلى : "منح الطفل القدرة على استيعاب معنى الكلمة، وطرق استعمالها وكتابتها الصحيحة"، وهو ما تؤكده مقدمة (المعجم الميسر للأطفال) (ص 7-8)" وهذا المعجم يوفر لك كل ما ترغب فى معرفته حول الكلمة؛ فهو

يشرح لك معناها... ويدلك على استعمالها، ونطقها نطقًا صحيحًا" وهو ما يستمر التعبير عنه فى مقدمة (المعجم المصور للصغار) (ص 3)، حتى أن المعجم الثنائى المذكور فى القائمة السابقة ظهر فى مقدمته العربية الحرص على إظهار هذه الوظيفة اللغوية عندما قرر (ص 5) أنه يسعى إلى تيسير تعلم الفرنسية على مستعمليه، ذاكرًا أن الشروح العربية للمداخل أو الكلمات الفرنسية ليست مجرد ترجمة بقدر ما هى مكملات لإعطاء معنى متكامل للكلمات/ مداخل المعجم.

ويظهر من هذه المقدمات وعى أصحابها بأن على معاجم الأطفال أن تحقق الأغراض التالية التى هى فروع الوظيفة اللغوية للمعجم :

1- شرح معانى الكلمات/ المداخل.
2- مساعدة الأطفال على نطق الكلمات/ المداخل نطقًا صحيحًا.
3- مساعدة الأطفال على كتابة الكلمات/ المداخل كتابة صحيحة.
4- مساعدة الأطفال على استعمال الكلمات/ المداخل استعمالاً صحيحًا.

وهو بُعْد أسلوبى مهم يكشف عن وعى بقدرة المعجم على القيام بوظائف تركيبية نحوية أسلوبية، من خلال آلية معينة هى وضع الكلمات/ المداخل فى جمل أو تراكيب متنوعة للتفرقة بين المعانى المختلفة للمدخل الواحد عن طريق ملاحظة ما ظهر من معانيه مع اختلاف التراكيب.

وتأمُّل هذه الوظائف يكشف عن قصور فى بعض الوظائف اللغوية الفرعية، ولاسيما فيما يتعلق ببيان نوع البنية، وهو ما يؤكده الدكتور على القاسمى بقوله : "إن معاجم الأطفال المعاصرة تعانى قصورًا واضحًا، لأنها لم تُبْنَ على أسس علمية حديثة"(15).

ثالثًا : الوظيفة التربوية

كان الظهور الأول لمعاجم الأطفال فى صورة معاجم مدرسية من جانب، وصدور معظم معاجم الطفولة العربية المعاصرة عن تربويين أفراد ومؤسسات من جانب آخر- موجهًا النظر إلى الوظيفة التربوية التى يتصور الوفاء بها ورعايتها، وهو أمر يبدو منطقيًا جدًا بالنظر إلى المرحلة العمرية التى يخاطبها معاجم الأطفال، وبالنظر إلى نوع الكلمة التى تضمها الكلمات، وبالنظر إلى أنواع الكلمات التى تتجنبها ويرتبط بهذه الوظيفة ما يمكن أن يسمى بالوظيفة النفسية وما يرتبط بها من وظائف أخرى نمائية؛ بمعنى أن معاجم الأطفال وهى تسعى إلى إكساب الأطفال اللغة تهدف إلى الارتقاء بعدد منضبط من الوظائف، وهى :

1- **<u>الوظيفة الاستكشافية</u>**، على ما سبق بيانه فهى أولى وظائف المعجم هنا.
2- **<u>الوظيفة التخيلية</u>**، وهى ما يقصد به إعانة المعجم للأطفال بما تملكهم إياه من كلمات على تخيل العوالم الخاصة بهم عن طريق استعمال اللغة (الكلمات).
3- **<u>الوظيفة الوسيلية</u>** أو الالتماسية، وهى تمكين الطفل من استعمال الكلمات فى طلب الأشياء التى يريد الحصول عليها.
4- **<u>الوظيفة التفاعلية</u>**؛ أى تمكين الأطفال من استعمال الكلمات فى التواصل مع الآخرين.

5- **الوظيفة الشخصية**؛ أى تمكين الأطفال من التعبير عن ذواتهم.
6- **الوظيفة الضبطية**؛ أى تمكين الأطفال من ضبط تصرف الآخرين، وتوجيه الأمر للآخرين والطلب منهم.
7- **الوظيفة الإبلاغية**، وهى تعنى تمكين الأطفال من إبلاغ الآخرين بأشياء ما(17).

والقصور فى تمكين الأطفال من هذه الوظائف يصيب الطفل بقدر من الإعاقة النمائية الناتجة فى حالتنا هذه عن قصور فى الأوعية التربوية، ووسائلها.

ويتفرع عن هذه الوظيفة المركزية وظيفة أخرى لا تقل فى أهميتها عنها، وهى ما يمكن أن نسميها بتربية الانتماء، ولم نشأ أن نفصلها فى وظيفة سياسية مستقلة؛ لأننا نريد لها أن تتسع، ولا تنحصر فى نطاق سياسى أو اجتماعى سياسى.

وقد ظهر فى مقدمات معاجم الأطفال، مادة الدراسة وعيًا بإرادة خدمة هذه الوظيفة التى سميناها تربية الانتماء، والارتباط بمحددات الوطنية والقومية.

يقول صانعا معجم (قاموسى : قاموس مصور للأطفال) (ص 5) : إنه يسعى لتحقيق "زيادة إحساسه (أى الطفل) بالفصحى وحبه لها". وهذا التعبير مع عموميته دال على الغاية الوطنية الكامنة خلفه؛ ذلك أن مساعدة الطفل العربى على تلقى معلوماته المدرسية بلغته الوطنية، قائد إلى تيسير فهم هذه المعلومات وتمثلها وإدماجها فى منظومته المفهومية، سعيًا إلى الإبداع فيها(16).

وهذا الذى ظهر على استحياء فى التعبير السابق يقف فى خلفيته نص المادة الثلاثين من اتفاقية حقوق الإنسان لسنة 1989م، والذى يقرر "ضرورة احترام حق الطفل المنتمى إلى المجموعات والأقليات فى التمتع بممارسة مظاهر ثقافته واستعمال لغته"(18).

وقضية التمكين للعربية الصحيحة لدى الطفل العربى تزداد قيمتها وتقدير خطرها فى ظل المخاطر التى تحيط بها من جانب الازدواج اللغوى فى البلدان العربية إما فى شكل العاميات أو فى شكل الأقليات اللغوية فى بعض هذه البلدان.

رابعًا : الوظيفة التعليمية (ارتقاء التحصيل الدراسى)

استقر منذ فترة طويلة النظر إلى الكتاب المقدم للأطفال - بما فى ذلك معجم الطفولة - على أنه أداة تربوية؛ بمعنى آخر عما ورد فى الفقرة الثالثة هنا، وهو المساعدة على تحسين التحصيل الدراسى، يقول داتيس سميث فى سياق حديثه عن معرفة الطفل بلغة قومه، وهى بعض ما ينهض بعبء تحسينه المعجم المصنوع من أجله : "إن معرفة الطفل بلغة قومه تعتبر عونًا أو ظهيرًا يحمله معه إلى المدرسة، وإن هذه المعرفة أداة تربوية، لا تقدر بثمن"(19). وهو ما يؤكده كذلك بيتر فريبدى وكارولين بيكر.

وقد ظهر فى مقدمات معاجم الأطفال العربية المعاصرة، مادة الدراسة ما يؤكد وعيها بالتحاور مع هذه الوظيفة التعليمية؛ حيث حرصت على بيان أن أهدافها معاونة الأطفال من مستعملى هذه المعاجم فى إحراز تقدم على طريق تعلم القراءة، وتعلم الكتابة، وتعلم فوارق الاستعمال بين معانى الكلمات، فضلاً عما ورد متقدمًا فى قوائم أهدافها، وهو أمر جاء ظاهرًا فى مقدمات المعاجم، مادة الدراسة؛ يقول محمود عباس ويعقوب إيال فى مقدمة معجمهما

(قاموسى : ص 5) : إن "من أهداف القاموس : تعليم الطفل ما هو القاموس، وكيف يُستعمل؟ ومنح الطفل القدرة على استيعاب معنى الكلمة، وطرق استعمالها، وكتابتها الصحيحة" ففى هذا القول بيان لما يتوخى هذا المعجم تحقيقه فى باب تعليم الطفل / مستعمل هذا المعجم، وهى :

1- ترقية القدرة القرائية لدى الطفل.

2- ترقية القدرة الكتابية لدى الطفل.

3- ترقية القدرة الاستيعابية لدى الطفل.

وهى ولاشك وسائل مهمة جدًا لتحسين التحصيل الدراسى لدى الأطفال الذين سيستعملون هذا النوع من المراجع المساعدة.

وقد تواترت الإشارة إلى هذه الوظيفة فى صور متفاوتة فى مقدمات معاجم الأطفال العربية المعاصرة، مادة الدراسة(20).

وهذا الذى نقرره مستقر فى النظر إلى معاجم الأطفال بأنواعها المختلفة على ما يقرره الدكتور على القاسمى الذى يقول : "المعجم هو أداة تعليمية وتربوية؛ ولهذا فإن استخدام الأطفال لهذه الأداة وتنوع أشكالها يرتبطان بالمراحل المدرسية"(21).

وتتأكد هذه الوظيفة فيما ظهر من معاجم الأطفال العربية المختصة، على ما نرى فى (قاموس الفنون : صور وكلمات) لأمل الزين، التى تقرر فى مقدمته (ص 3)، قائلة : "هذا قاموس فنى موجه إلى الصغار"، وتلخص أهدافه قائلة : "إنه يرمى إلى تقديم المصطلحات وتعريفها، سعيًا إلى حثه على التأمل عن طريق تعريف الطفل ببعض الأعمال الفنية.

ومن هنا فإن الورقة ترى وعيًا ظاهرًا فى المعاجم المعاصرة المصنوعة للطفل العربى فى هذا الباب، وإن كان ثمة ملاحظات سلبية تتعلق بمنهجية تحقيق هذه الوظيفة التعليمية من خلال هذه المعاجم، على ما سيظهر فى التقويم.

خامسًا : معاجم الأطفال بما هى مصدر للمتعة والسعادة

فى سياق البحث عن طرق جديدة للتربية تعنى بإعداد الإنسان لإدارة حياته الخاصة، وتكوين البيت والأسرة فى مواجهة نسق قائم فى التربيات الحديثة التى تعنى بإعداد الإنسان ليكون أهلاً للوظائف العامة المربحة، تقول نل نورينجز : "نريد للطفولة أن تكون سعيدة، ولابد أن يكون هذا حاضرًا فى أذهاننا"(22).

وقد جاء فى مقدمات معاجم الأطفال العربية المعاصرة، مادة هذا البحث تعبير تواتر فيها جميعًا يقرر أن من أهدافها تحقيق المتعة لمستعملها، يقول محمود عباس وإيال يعقوب (ص 5) : "أعد هذا القاموس للصغار الذين يجتازون مراحل القراءة الأولى، ولكننا نعتقد أن الأطفال الذين لم يتعلموا القراءة بعد سيجدون فيه هم أيضًا الفائدة والمتعة".

وهو الأمر نفسه الذى ظهر فى مقدمة المعجم الميسر للأطفال، يقول صانعه يوسف الشريف (ص 7) : "هذا هو المعجم الميسر للأطفال لك أنت أيها الطفل... كتبته لتستفيد منه... وليكون لك رفيقًا... يساعدك ويعطيك المعرفة والمتعة"، وهو الأمر الذى يأمل فى تحقيقه ناصف مصطفى

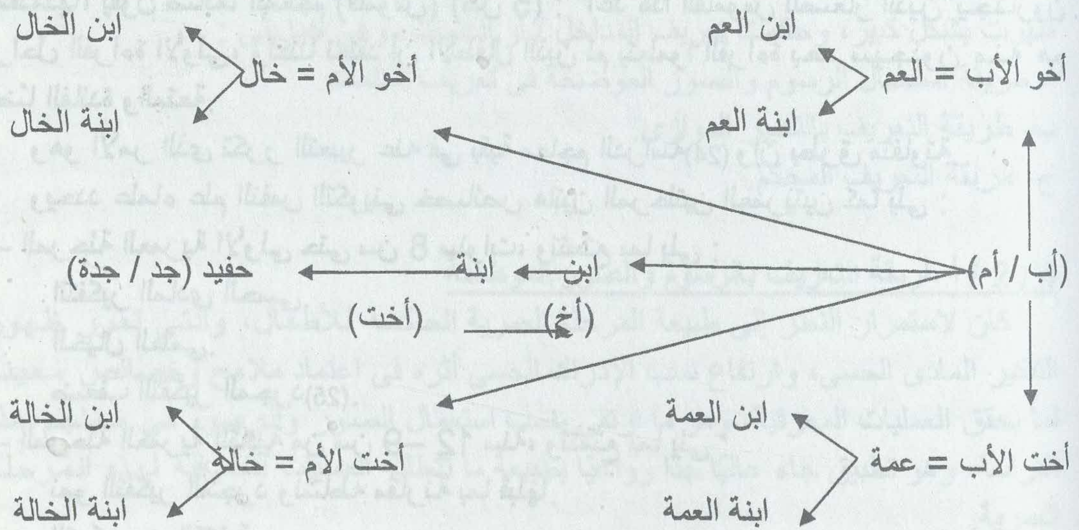
عبدالعزيز كما قال فى مقدمة المعجم المصور للصغار (ص 3) : "آمل أن يجد الأطفال متعة وفائدة فى استخدام هذا الكتاب".

صحيح أن التعبير بهذه المفردة التى يتكرر ظهورها - كما نرى - جاء مبهمًا، لا ندرى شيئًا عن المراد من إطلاقه تفصيلًا.

ولكن غالب الظن أنها منصرفة إلى تحقيق قدر من انجذاب الأطفال إلى استعمال هذه المعجمات، وهو ما نرى تفسيره دائرًا حول الملامح الجمالية التى حرصت هذه المعاجم على تحقيقها، ولاسيما ما امتلأت به صفحاتها من صور ورسوم ملونة لها القدرة على أن تثير شغف الأطفال وإقبالهم، والبلوغ بهم إلى مرحلة من الرضا الجمالى والإمتاعى.

ولكن فحص مادة هذه المعاجم بما هى محققة لسعادة الأطفال من زاوية النظرية التربوية التى تتبناها نل نورينجز يمكن أن يقود إلى الإقرار بأن معاجم الأطفال المعاصرة سبيل لتحقيق السعادة بما هى طريق لدعم التربية التى تطمح إلى إعداد الطفل ليكون رب أسرة فيما بعد.

وقد ظهر فى بعض هذه المعاجم المعاصرة التى اعتنت فى بعض ملاحقها الختامية بما يغذى مفهوم التربية الطامح إلى العناية بإعداد الطفل ليكون مكونًا للأسرة، حيث أورد معجم ناصيف مصطفى عبدالعزيز (ص 139) ملحقًا للأسرة والأقارب، جاء مركزها (الأب / الأم)، وتفرع عنهما بقية أطراف الأسرة وما يرتبط بهما من أقارب، ويمكن تصويرها كما يلى :



ومثل ذلك ورد فى بعض ملاحق معجم محمود عباس وإيال يعقوب التى خصصت للصحة والنظافة، والمأكولات، والألعاب، وغير ذلك.

وهو ما يلفت النظر إلى ضرورة إثارة انتباه الأطفال إلى هذه الحقول الدلالية بما هى طريق لتحقيق السعادة بمفهوم نل نورينجز التى تسعى إلى ضرورة العناية بإعداد الطفل للارتقاء بحياته الخاصة.

لكن هذا الذى نزعمه محض إفراط من جانبنا فى تأويل ما يظهر فى هذه المعجمات المعدة للأطفال، ولكنه زعم وارد لوجود ملامحه التى يمكن استثمارها بعد تنبه المدربين إليها.

مما مر يتضح لنا أن معاجم الأطفال المعاصرة حرصت على تحقيق عدد من الوظائف المهمة تجلت نظريًا وتطبيقيًا فيما ضمته من مقدمات ومداخل وشروح ورسوم وصور وملاحق.

وهو ما يستوجب ضرورة تنبيه مدرسى الأطفال على معاجم الأطفال أن يولوه قدرًا كبيرًا من العناية والملاحظة.

4/ الخصائص المادية لمعاجم الأطفال العربية المعاصرة وعلاقتها بخصائص المرحلة العمرية

(1 / 4)

تندرج معاجم الأطفال العربية مشغلة هذا البحث فيما يسميه الدكتور على القاسمى بالمعجم المصور (من سن 3 - 7)، والمعجم المبسط (أو معجم التلاميذ) (من سن 8 –12)(23)، وقد ظهرت بعض ملامح الوعى بانتماء معاجم الأطفال إلى هاتين المرحلتين العمريتين فى عنوانها ومقدمتها، يقول صانعا المعجم (قاموس) (ص 5) : "أعد هذا القاموس للصغار الذين يجتازون مراحل القراءة الأولى، ولكننا نعتقد أن الأطفال الذين لم يتعلموا القراءة بعد سيجدون منه هم أيضًا الفائدة والمتعة.

وهو الأمر الذى تكرر التعبير عنه فى بقية معاجم الدراسة(24) وإن بطرق متفاوتة.

ويحدد علماء علم النفس التكوينى خصائص هاتين المرحلتين العمريتين كما يلى :

1- المرحلة العمرية الأولى حتى سن 8 سنوات، وتتمتع بما يلى :

- التفكير المادى الحسى.
- الخيال العلمى.
- ضعف التفكير المجرد(25).

2- المرحلة العمرية الثانية من سن 9– 12 سنة، وتتمتع بما يلى :

- نمو التفكير المجرد ونشاطه مقارنة بما قبلها.
- التمكن من الكتابة.
- إدراك عملية التسمية وانفصالها عن المسمى(26).

وبإمكان اعتبار هاتين المرحلتين مرحلة عمرية واحدة فيما يتعلق بصناعة معجم للأطفال ذلك أن بعض دراسات علم النفس المعاصرة تقرر أن "الطفل فى هذه المرحلة (يقصد مرحلة التعليم الابتدائى) يكون أقرب إلى الأطفال الأصغر سنًا"(27).

ومن ثم فإن محاكمة هذه المعاجم انطلاقًا من الإقرار بتداخل هاتين المرحلتين العمريتين أمر وارد وممكن، ولاسيما فى باب طرق شرح المعانى المستعملة فى المعاجم المعدة لهما.

وقد تعانق مع هذه المرحلة أمر مهم كان انعكاسًا لتقدير طبيعة المرحلة العمرية، ألا وهو اعتماد الترتيب الهجائى الألفبائى غير المعتبر للجذور أو الاشتقاق فى بناء هذه المعاجم، مادة البحث، بمعنى أن الكلمات رُتِّبت فى هذه المعاجم على اعتبار كل كلمة مدخلاً مستقلاً من دون النظر إلى الجذور المنحدرة منه، وهو منظور تيسيرى مهم جدًا يراعى الطبيعة العقلية للأطفال مستعملى هذه المعاجم.

حتى أن المعجم الوحيد الذى رتبت الكلمات فيه فى شكل مجموعات دلالية (حقول / موضوعات) وهو قاموس الفنون حرص على أن يصنع فهرسًا هجائيًا ألفبائيًا فى نهايته؛ تيسيرًا على الأطفال المستعملين.

وقد انعكس أيضًا أمر تقدير طبيعة المرحلة العمرية وما تفرضه على طبيعة المداخل من جهة المعنى والقيم، حيث ظهرت مراعاة سن الأطفال فى خلو المعجم من الألفاظ ذات المعانى المجردة، ومن الألفاظ التى قد تضر بنفسيته أو عقله من مثل كلمات الحقول الجنسية والفلسفية والعلمية الدقيقة.

2 / 4 طرق شرح المعنى فى معاجم الأطفال العربية المعاصرة

أفضى فحص مادة هذه المعاجم، مادة البحث إلى التوصل إلى أنها استعملت ثلاث طرق ظهرت بشكل كبير، وحكمت تعريف المداخل / أو الكلمات، وهى كما يلى :

أ- طريقة استعمال الرسوم والصور الموضحة فى تعريف الكلمات.

ب- طريقة التعريف بالتعبير الموازى.

ج- طريقة التعريف المحكم.

2 / 4 / أ طريقة التعريف بالرسوم والصور الموضحة

كان لاستمرار النظر إلى طبيعة المرحلة العمرية الحاكمة للأطفال، والتى تقرر ظهور التفكير المادى الحسى، وارتفاع نسب الإدراك الحسى أثره فى اعتماد ملامح وخصائص معينة لما يحقق العمليات المعرفية، وهو ما ارتقى بنسب استعمال الصور والرسوم فى معاجم هذه الدراسة، وهو تطبيق جاء عاليًا جدًا وواعيًا بطبيعة ما تتطلبه العمليات المعرفية لهذه المرحلة العمرية.

وهذا الوعى بقيمة الصور والرسوم عند الأطفال، وإسهامه فى تحقيق المعرفة أمر ثابت يقرره علم النفس فيما يعرف بقدرة الأطفال الصغار على اختزان (الشيمات)، ويقصد بالشيما : "وسيلة الذهن إلى تمثل أو امتثال أهم جوانب الواقعة أو أخطر ملامحها"(28).

وفى هذا السبيل يتقرر أن "للأطفال الصغار قدرة فائقة على اختزان الشيمات؛ فقد عرضت على مجموعة من الأطفال فى الرابعة من العمر فى يوم من الأيام عدة صور تبلغ الستين، بحيث يظل كل طفل يتطلع على صورة فترة تمتد نحو ثانيتين، وفى اليوم التالى عرضت على الأطفال مجموعة مئة وعشرين صورة منها الصور الستون التى رأوها فى اليوم السابق، وستون صورة أخرى جديدة، ولما طلب إليهم أن يحددوا الصور التى سبق لهم رؤيتها تمكن الطفل المتوسط من ذلك بنسبة 80 %"(29).

وهذا الذى يقرره بول مسن وجون كونجر وجيروم كاجان وديانا ستين - قديم فى الدراسات الغربية والعربية المعاصرة معًا؛ كما يظهر من قول داتيس سميث : "فى أنواع كثيرة من الكتب فإن الرسوم التوضيحية هى مجرد زينة أو حلية، أما فى كتب الأطفال فإن الرسوم التوضيحية قد تكون لب اهتمام القارئ ومادة شغفه، وجوهرية جدًا بالنسبة لغرض الكتاب، لدرجة أن من العبث طبع الكتاب بدونها، ودور الرسام فى غاية الأهمية"(30) وهو ما يؤكده سيرجيوسبينى فى التربية اللغوية للطفل.

وهذا الوعى بقيمة الصور والرسوم فى معاجم الأطفال بما هى من كتب الأطفال فى الأدبيات الغربية موجودة بدرجة واضحة فى الأدبيات التنظيرية العربية ومنذ فترة مبكرة فى العصر الحديث، يقول حسن رشاد : "إن شكل الكتاب جزء من موضوعه؛ فالصور والرسوم ووضوحها وانطماسها وألوانها المعبرة والمشوقة... كل ذلك يعتبر جزءًا من مادة الكتاب العلمية"(31).

وهو ما يتنامى الوعى به حتى اليوم، وازداد وانتشر من غير تقييده بمرحلة عمرية معينة، يقول الدكتور محمود إسماعيل صينى "المعينات البصرية وسائل تعين وتساعد على استثارة متعلم اللغة، تعتمد على العين وتعدها قناة الاتصال الأولى الأساسية للتعليم"(32).

وقد حققت معاجم مادة هذه الدراسة تقدمًا وتنوعًا فى استعمال الصور والرسوم المختلفة فى تعريف الكلمات والمداخل، وجاءت عن وعى بدورها وقيمتها، تقول مقدمة قاموسى (ص 5) : "للرسوم دور هام آخر ألا وهو إضافة جمال وأناقة.. مما يشوق الأطفال".

وقد استقلت الصور والرسوم فى أحيان بتعريف المداخل على ما نرى فى تعريف مدخل كلمة (بالون ص 31)، وفى تعريف مدخل كلمة (بكى ص 38). وقد اعتمد ما يسمى فى هذا المجال بتقنية بطاقات الصور الومضية، فى مربعات أمام كل مدخل أو كلمة، وهو ما ظهر كذلك فى المعجم المصور للصغار أمام كل كلمة صورة أو رسم ملون، وقد تخلفا فى باب استعمال ما يسمى بتقنية البطاقات الواقعية، وهى المصورات للمستعمل فى الحياة كصور جوازات السفر وبطاقات الهوية وصور الاستمارات المختلفة، وقد استعملا جداول للأصوات فى أعلى كل صفحة مع تظليل الحرف المقصود مما يساعد على تنمية مهارات التعرف عليها. وقد شاركهما فى ذلك (معجم الصديق الصغير المصور للأطفال والناشئة) و(معجم قاموس الفنون، وهو معجم

مختص بمصطلحات الفنون الذى توسع فأضاف نماذج للوحات فنية عربية وغربية كلوحة منظر الأشقر لجان دبوفيه سنة 1951م.

لكن هذا الوعى بقيمة الصور والرسوم لم يظهر فى معجم يوسف الشريف؛ الذى أبدى نقصًا وتخلفًا ضارًا فى هذا الميدان، بحيث قل استعمالهما بشكل واضح جدًا؛ مما أضر بقيمة هذا المعجم فى هذا الباب.

2 / 4 / ب طريقة التعريف بالموازى

ظهر سابقًا أن ترقية بعض المعارف اللغوية واحدة من أهم الوظائف التى حرصت معاجم الأطفال العربية المعاصرة على تحقيقها، وهى ما سميناها بالوظيفة اللسانية، وقد نصت مقدمات هذه المعاجم جميعًا على أنها تسعى إلى تعليم الطفل العربى كيفية التفريق بين استعمال الكلمات فى السياقات المختلفة، وقد ظهر فى المعجمية المعاصرة في باب طرق تعريف الكلمات ما يسمى بطريقة التعريف الموازى أو التعريف بالتعبير البديل paraphrase، وهو نوع "من التعريفات يركز على التعبير عن المفهوم، مع عدم إغفال محتوى المفهوم"(32)، ويتم عن طريق وضع مرادف الكلمة الرئيسة، أو مرادفاتها القريبة، أو هى نفسها فى عبارات لتوضيح المعنى.

ومن أمثلة ذلك ما ورد فى معجم يوسف الشريف فى تعريف كلمة (الرث) (ص 194)

الرث : نزعت الثوب الرث / خلعت الثوب البالى، مع كتابتها بلون أحمر فى إشارة إلى ترادفهما.

وقد كان هذا المعجم أكثر المعاجم الخمسة مادة الدراسة حرصًا على هذه الطريقة، ربما بسبب التقدم النسبى فى سن المتعلمين الذين صنع من أجلهم.

2 / 4 / ج طريقة التعريف المحكم

وهى طريقة تعتمد على جمع السمات والقسمات الدلالية الفارقة التى تميز الأشياء عند تعريفها، وهى طريقة مناسبة فى باب المصطلحات، ولاسيما أن واحدة من أهم وظائف معاجم الأطفال هى الوظيفة التعليمية، وقد أقام "معجم قاموس الفنون" بما هو قاموس مختص أعد لتعليم طلاب المرحلة الابتدائية المعارف الفنية - شروحه لمعانى الألفاظ المجموعة فيه على أساس من هذه الطريقة ولكن بالصور والرسوم الدالة الجامعة لسمات الشىء المعرف.

كما اعتمدها يوسف الشريف فى تعريف عدد من المداخل أو الكلمات التى تستعمل مصطلحات من مثل تعريفه مدخل (الحيوان ص 158) بأنه : "كل شىء يعيش، ويستطيع أن يتحرك مثل الطيور والأسماك والقطط والنمل".

صحيح أن فى هذا التعريف لجوءًا إلى التمثيل بما يجعل من التعريف تعريفًا هجينًا؛ لكن الأساس الأول هو التعريف الوارد فى صدر الشرح الذى اعتمد على جمع العناصر الدلالية السياسية.

ومن أمثلة ذلك فى "معجم الصديق الصغير المصور" فى تعريف مدخل / أو كلمة (مجهر ص 50) بأنه "آلة بصرية ترى فيها الدقائق ككريات الدم والميكروبات مكبرة جدًا".

ولم تكن هذه هى كل الطرق التى تم اعتمادها فى تعريف المداخل، وإنما ظهرت طرق أخرى كالتعريف بالمرادف والضد، وبالمثال والموضوع، ولكن الملاحظ على طرق شرح

المعنى أنها تضافرت وتعاونت على توضيح المعانى بمعنى أن التعريف باللفظ؛ أى ما كان نوعه جاء مقرونًا ومرتبطًا بالتعريف بالرسوم والصورة معًا؛ مما يعكس حرصًا شديدًا من جانب هذه المعاجم على الوضوح التام، بما هو واحد من أهم الخصائص والأسس التى ينبغى أن تتحلى بها شروح المداخل فى هذا النوع من المعاجم على ما يقرره المنظرون فى هذا الباب(34).

ولكن من المهم أن نقرر أن ثمة قصورًا فى هذه المعاجم جميعًا فيما يتعلق بعناصر التعليق على معانى المداخل، وما يتعلق بعناصر التعليق على شكلها؛ بمعنى أنها قصرت فى بيان عدد كبير من المعلومات الصوتية والهجائية والصرفية والنحوية المهمة لاكتمال بيان معانيها!

4 / 3 التشكيل الطباعى لمعاجم الأطفال العربية المعاصرة

مثلما أظهرت الأدبيات التنظيرية خطر الصور والرسوم وقيمتها فى بيان معانى المداخل والكلمات فى معاجم الأطفال - فقد أظهرت الأدبيات نفسها وعيًا مشابهًا بضرورة أن تتمتع معاجم الأطفال بخصائص خاصة من الناحية الطباعية، يقول داتيس سميث : "إن نمط حروف الطبع الخطية التى تقدم بها مادة قراءة الأطفال تثير قضية أخرى... والجميع يسلمون بأن ذلك النمط ينبغى أن يكون كبيرًا، وواسع المسافات، وأن الطبع يجب أن يكون واضحًا"(35).

وهو ما يقرره حسن رشاد قائلاً : إن "قطع الورق وحروف الطباعة وقاعدته الخطية والفواصل بين الكلمات، واتساع الهوامش أو ضيقها، كل ذلك أيضًا جزء من مادة الكتاب العلمية، وطريقة تجليد الكتاب هى التى تحمل الطفل على احترامه والاعتزاز به، كما تعين على طريقة فتح صفحاته والإمساك به للقراءة"!

وهو ما تنبهت إليه معاجم الأطفال مادة الدراسة، بحيث ظهرت عنايتها بالطباعة على ورق مقوى، ولونت المداخل بمداد مخالف للون الشروح، وطبعت الكلمات ببنط كبير، ووسعت من المسافات بين السطور والكلمات، وكبرت من الصور والرسوم، وجلدت هذه المعاجم بطريقة تبعث على تقدير الطفل لها وإقباله عليها.

ولكن بعضها أخل فى باب داخل فيما يتعلق بالعرض الطباعى، ألا وهو التقصير فيما يتعلق بضبط نص المعجم، يستوى فى ذلك المداخل والشروح، ولعل معجم (الصديق الصغير المصور) هو الذى أظهر تفوقًا فى هذا الباب، بحيث حرص صانعوه على ضبط المداخل والشروح ضبطًا كاملاً، وهو أمر مهم جدًا على طريق الترقية اللغوية للأطفال، ومثل ذلك حدث فى معجم يوسف الشريف.

أما معجم ناصف مصطفى عبدالعزيز فقد أخل ببعض ضبط الكلمات فى الشروح تعيينًا، وهو ما يفوت بعض الفوائد النحوية والصرفية المحققة.

هذا الوعى من قبل هذه المعاجم بخطر قيمة العناية بالعرض الطباعى لمعاجم الأطفال يعكس إدراكًا للأبعاد التربوية والصحية والنفسية لهذه القضية، وهى مسألة مهمة فى هذا الميدان.

معاجم الأطفال رؤية تقويمية

أظهرت مجموعة معاجم الأطفال العربية المعاصرة التى اعتمدتها هذه الدراسة مجموعة من العلامات على طريق تقويم العمل فى هذا الميدان المهم، وهو ما يمكن أن نجمله فى العلامات التالية :

أولاً : الفقر الظاهر فى معاجم الأطفال العربية، وقد اتخذ هذا المظهر أشكالاً متنوعة، على مستوى الأنواع، وعلى مستوى عناية المؤسسات اللغوية العربية الرسمية.

ثانيًا : التخلف فى عدد من المعارف التى ينبغى أن تضمها هذه المعاجم، ولاسيما فيما يتعلق بالمعلومات اللغوية (على مستوى المعنى والشكل).

ثالثًا : الإخلال فى تقدير قيمة الصور والرسوم بأنواعها المختلفة فى توضيح معانى المداخل.

رابعًا : الإخلال فى باب إعداد قوائم الألفاظ بشكل علمى وواقعى.

خامسًا : ظهور نزعات إقليمية ضارة بالروح القومية العربية بما هى إطار جامع لكل العرب، وهو ما تجلى فى ضم عدد من المداخل شديدة الإقليمية.

سادسًا : الإخلال ببيان مستوى الاستعمال، بحيث لم يظهر فى هذه المعاجم أى اعتبار لمعانى بعض المداخل فى مجالات دلالية معينة، ولاسيما فيما يخص الكلمات العلمية.

سابعًا : التخلف الظاهر فى باب خدمة الوظيفة الموسوعية، صحيح أن بعضها صنعت مجموعة من الملاحق الموسوعية، لكنها إجمالاً قصرت فى خدمة هذه المعلومات فى أبواب أسماء المدن، والمهن، والعملات، والشعراء، ولاسيما أولئك الذين كتبوا للأطفال؛ كأحمد شوقى (من مصر)، وأحمد البقالى (من المغرب)، وخليل خورى (من سوريا)، وعمر بهاء الأميرى وعادل الغضبان (من فلسطين)، وغيرهم.

ومراجعة هذه المعاجم جميعًا تظهر قصورًا ظاهرًا فى هذا الباب، بحيث نجد قصورًا فى تعريف أسماء الشهور والمعادن، وأدوات الكتابة، والأدوات المنزلية، والأجهزة، والكتب العلامات؛ أى المشهور فى التاريخ، إلى غير ذلك.

خاتمة

وفى نهاية هذا البحث الذى تحاور حول (معاجم الأطفال العربية المعاصرة) سعيًا إلى رصد عدد من وظائفها وخصائصها فى إطار من الوفاء لمفهوم التنمية اللغوية - ظهرت مجموعة من النتائج، نجملها فيما يلى :

1- تأخر ظهور معاجم الطفولة، مقارنة بغيرها من معاجم الكبار.

2- خلو المعجمية العربية، بالرغم من عراقتها من مظاهر العناية بمعجم الطفولة.

3- غالب معاجم الأطفال كانت استجابة لبعض علامات الوعى فى ميدان علم التربية.

4- تعاطى المعجمية المعاصرة مع قضايا الأطفال، وهو ما تجلى فى ظهور عدد من المصطلحات الخادمة لقضية معجمية الطفولة.

5- ضعف الدراسات فى ميدان معاجم الطفولة تنظيرًا وتطبيقا.

6- قلة معاجم الأطفال عددًا ونوعًا.

7- تأخر ما هو قائم منها فى الوظائف المنوط بها تحقيقها.

8- ما هو موجود من معاجم الأطفال يمثل خطوة مهمة على طريق تطور العمل المعجمى لهم، ولاسيما فى التقنيات والمبادئ، حيث تمتع عدد منها برعاية الرسوم والصور والتلوين والتعريف بالموازى وصناعة الملاحق.

9- ظهور وعى طيب على مستوى الوظائف التى تحققها المعاجم المصنوعة للأطفال، وإن جاء التطبيق متفاوتًا.

10- غياب المؤسسات اللغوية والعلمية عن هذا الميدان المهم.

11- قلة المعاجم النوعية الخاصة بـ (المصطلحات، أو الترادف، أو المصاحبات، أو التعابير الاصطلاحية، إلخ) المصنوعة للأطفال.

وبعد فقد حرصت هذه الدراسة على أن تعالج موضوعًا مازالت معالجاته قليلة مقارنة بدراسات المعجمية المعالجة لمعاجم الكبار العامة والمختصة.

الهوامش

1- انظر : A dictionary of linguistics and phontics, p 101.

2- كما فى معجم المصطلحات اللغوية للبعلبكى ص 145-146، ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث للدكتور محمد حسن باكلا ص 18، ومعجم اللسانيات الحديثة للدكتور سامى عياد حناص ص 36.

3- اللغة العربية فى العصر الحديث : قضايا ومشكلات، فهمى حجازى فى سياق الفصل الذى عقده للتنمية اللغوية ص 114.

4- اللغة العربية فى العصر الحديث : قضايا ومشكلات ص 112.

5- انظر : Dictionary of lexicography, p 20, 57, 109, and 153.

6- انظر : ألف باء للبلوى 1/ 3.

7- البناء القصصى للمعرفة الأبوية فى كتاب ألف باء للبلوى ص 61.

8- استبعدت الورقة عن قصد المعجم الوجيز، لمجمع اللغة العربية، بالقاهرة لأنه "معجم مدرسى وجيز (كتب) بروح العصر ولغته، ويتلاءم مع مراحل التعليم العام" على ما جاء فى مقدمته ص (ز)، فهو وإن اشتبك مع مرحلة الطفولة من الناحية العمرية، فإنه أخلص نفسه للوظيفة التعليمية : المتمثلة فى تحسين مستوى التحصيل الدراسى لطلاب التعليم العام.

9- على الرغم من قلة معاجم الأطفال العربية فإن هذه الورقة حرصت على الابتعاد عن القائمة التى صنعها الدكتور على القاسمى فى خاتمة بحثه (المجامع العربية ولغة الطفل العربى) ص 624-625؛ قصدًا إلى بيان ضرورة متابعة الجديد فى هذا المجال المهم.

10- المجامع العربية ولغة الطفل العربى ص 623.

11- انظر : صناعة المعجم الحديث، للدكتور أحمد مختار عمر ص 115.

12- إنسان الكلام : مساهمة لسانية فى العلوم الإنسانية ص 132.

13- إنسان الكلام : مساهمة لسانية فى العلوم الإنسانية ص 363.

14- انظر : معجم المصطلحات اللغوية، للبعلبكى ص 7؛145.

15- المجامع العربية ولغة الطفل العربى ص 622، ولاسيما عندما يقرر فى فقرة مخصصة للحديث عن أسس تأليف معاجم الأطفال من ضرورة عنايتها بجميع القواعد الصوتية والصرفية والدلالية (بند رقم 5)، وانظر ثقافة الأطفال ص 144.

16- انظر : المجامع العربية ولغة الطفل العربى 623.

17- انظر : معجم المصطلحات اللغوية ص 145 بإحالاتها.

18- مركز الطفل فى القانون الدولى العام ص 152.

19- صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ ص 128، وانظر كتب الأطفال المدرسية ص 70.

20- انظر : المعجم المصور للصغار ص 3، والمعجم الميسر للأطفال ص 3، والصديق الصغير المصور للأطفال والناشئة ص 5، وقاموس الفنون ص 3.

21- المجامع العربية ولغة الطفل العربى ص 620.

22- السعادة والتربية : تعليم بلا دموع، لنل نورينجز ص 50.

23- المجامع العربية ولغة الطفل العربى ص 620.

24- انظر : المعجم الميسر للأطفال ص 7، والمعجم المصور للصغار ص 3، والصديق الصغير المصور للأطفال والناشئة ص 5، وقاموس الفنون ص 3.

25- علم النفس التكوينى أسسه وتطبيقاته من الولادة إلى الشيخوخة ص 158.

26- علم النفس التكوينى أسسه وتطبيقاته من الولادة إلى الشيخوخة ص 173-174.

27- أسس سيكلوجية الطفولة والمراهقة لبول مسن وآخرين ص 303.

28- أسس سيكلوجية الطفولة والمراهقة لبول مسن وآخرين ص 241.

29- أسس سيكلوجية الطفولة والمراهقة لبول مسن وآخرين ص 242.

30- صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ ص 222، وانظر التربية اللغوية للطفل ص 119.

31- كتب الأطفال، لحسن رشاد (ضمن مجلة الكتاب العربى) (ع 44 يناير 1969م) ص 55، ويعلق الدكتور حامد عمار فى جريدة الأهرام (ع 44017) ليوم 12 / 6 / 2007م فى مقاله (إلغاء مادة الرسم من التعليم الابتدائى) فيقول : "وأهمية (أى الرسم) لا تقل عن دور الكلمة والتعبيرات اللغوية، بل هو عنصر من عناصر جمالها وبلاغتها".

32- دليل المعلم إلى استخدام الصور والبطاقات فى تعليم العربية، للدكتور محمود إسماعيل صينى وآخرين ص 27.

33- المعجم العربى الأساسى للناطقين بالعربية ومتعلميها دراسة وصفية نقدية ص 92.

34- انظر : المجامع العربية ولغة الطفل العربى ص 622، حيث يقرر ضرورة اعتماد معاجم الأطفال تعريفات تتسم بالوضوح ومدعمة بعدد من الشواهد فى السياقات اللغوية الحية التى توضح سلوك الألفاظ صوتيًا ونحويًا ودلاليًا وتعكس ثقافة اللغة". وانظر : صناعة الكتاب ص 220.

35- صناعة الكتاب ص 35.

36- كتب الأطفال ص 55.

المراجع

1- أسس سيكلوجية الطفولة والمراهقة، لبول مسن وآخرين؛ ترجمة الدكتور أحمد عبدالعزيز سلامة : مكتبة الفلاح، الكويت، 1414هـ = 1993م.

2- إلغاء مادة الرسم من التعليم الابتدائى (مقال)، للدكتور حامد عمار : جريدة الأهرام، القاهرة، ع 4017 ليوم 12 / 6 / 2007م.

3- ألف باء، للبلوى : عالم الكتب، بيروت، مصورة مطبعة جمعية المعارف بالمطبعة الوهبية، القاهرة، 1387هـ.

4- إنسان الكلام : مساهمة لسانية فى العلوم الإنسانية، لكلود حجاج؛ ترجمة الدكتور رمضان ظاظا : المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003م.

5- البناء القصصى للمعرفة الأبوية، للدكتور عبير سلامة : القاهرة، 2001م.

6- تثقيف الطفل : فلسفته وأهدافه ومصادره ووسائله، للدكتور فاروق عبدالحميد اللقانى : منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976م.

7- التربية اللغوية للطفل، لسرجيوسبينى؛ ترجمة فوزى عيسى، وعبدالفتاح حسن : دار الفكر العربى، القاهرة، 1998م.

8- ثقافة الأطفال، للدكتور هادى نعمان الهيتى : سلسلة عالم المعرفة رقم 123، الكويت ، رجب 1408هـ = مارس 1998م.

9- التنوع البشرى الخلاق، إعداد الدكتور جابر عصفور : المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م.

10- دليل المعلم إلي استخدام الصور والبطاقات في تعليم العربية، للدكتور محمود إسماعيل صينى : مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، 1411هـ = 1991م.

11- السعادة والتربية : تعليم بلا دموع، لنل نورينجز؛ ترجمة الدكتورة فاطمة نصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م.

12- الصديق الصغير المصور للأطفال والناشئة، للدكتور أحمد زكى بدوى، وصديقه يوسف محمود؛ راجعه الدكتور ضحى محمد عبدالعزيز : دار الكتاب المصرى واللبنانى، القاهرة، بيروت، 1414هـ = 1993م.

13- صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ، لداتيس سميث؛ ترجمة الدكتور محمد على العريان وآخرين : المكتب المصرى الحديث، الإسكندرية، 1970م.

14- صناعة المعجم الحديث، للدكتور أحمد مختار عمر : عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ = 1998م.

15- علم النفس التكوينى : أسسه وتطبيقاته من الولادة إلى الشيخوخة، للدكتور محمد عبدالحميد الهاشمى : دار المجمع العلمى، جدة، 1400هـ = 1980م.

16- عوامل التربية : بحوث فى علم الاجتماع التربوى والأخلاقى، للدكتور على عبدالواحد وافى : دار نهضة مصر، القاهرة، 1978م.
17- قاموس الفنون : (صور وكلمات) : مركز الأبحاث اللغوية والتربوية، القاهرة، 1406هـ = 1986م.
18- قاموسى : قاموس مصور للأطفال، لمحمود عباس، وإيال يعقوب : مركز التكنولوجيا التربوية، جنيف، سويسرا، 1982م.
19- كتب الأطفال، لحسن رشاد : مجلة الكتاب العربى، القاهرة، ع 44، يناير 1969م.
20- كتب الأطفال المدرسية الأولى كمقدمات للثقافة المكتوبة، لبيتر فريبدى، وكارولين بيكر؛ ترجمة الدكتور نايف خرما : مجلة الثقافة العالمية، ع 33، رجب 1407هـ = مارس 1987م.
21- اللغة العربية فى العصر الحديث : قضايا ومشكلات، للدكتور محمود فهمى حجازى : دار قباء، القاهرة، 1998م.
22- المجامع العربية ولغة الطفل العربى، للدكتور على القاسمى : ضمن أعمال مؤتمر : "لغة الطفل العربى فى عصر العولمة" : المجلس العربى للطفولة والتنمية، دار العلوم للنشر، القاهرة،2007م.
23- مختار الصحاح، للرازى؛ بترتيب محمود خاطر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
24- مركز الطفل فى القانون الدولى العام، للدكتورة فاطمة شحاتة : دار الخدمات الجامعية، القاهرة، 2004م.
25- مستويات العربية المعاصرة فى مصر : بحث فى علاقة اللغة بالحضارة، الدكتور السعيد البدوى، دار المعارف، القاهرة، 1973م.
26- المعجم العربى الأساسى للناطقين بالعربية ومتعلميها : دراسة وصفية نقدية، لفاطمة العزمى، الكويت، 2002م.
27- معجم اللسانيات الحديثة، للدكتور سامى عياد حنا وآخرين : مكتبة لبنان، بيروت، 1997م.
28- معجم مصطلحات علم اللغة، للدكتور محمد حسن باكلا وآخرين : مكتبة لبنتن، بيروت، 1983م.
29- معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزى البعلبكى : دار العلم للملايين، 1990م.
30- المعجم المصور للصغار، لناصف مصطفى عبدالعزيز : دار عالم الكتب، الرياض، 1425هـ = 2004م.
31- المعجم الميسر للأطفال، ليوسف الشريف : المركز العالمى لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، 2000م.

المراجع الأجنبية

1– Dictionary of lexicography, by Harttman, and Gregory James : London, and New York, 1988.